عام التعليم .. عام «الأمة»

□ ..يذكر التاريخ أن «السوفيت» حين سبقوا «الأمريكيين» في الوصول إلى سطح القمر في عام «١٩٥٧» كان رد الفعل الأمريكي حين ذلك هو المناداة بضرورة إصلاح التعليم ،وتعالت الأصوات الداعية إلى أهمية إعادة النظر في جميع المناهج الدراسية قاطبة، ومن ثم بدأ العمل في هذا المجال على صعيد المؤسسات التعليمية كلها، وذلك تحت شعار «منهج من أجل أمة» Curriculum For Nation وذلك كخطوة اولى على طريق إصلاح مسار الأمة الامريكية واستعادة صدارتها بين الأمم، وفعلا فقد كان الاختيار عبقريا وموفقا إلى أقصى الحدود، فما هي إلا سنوات واستعاد «الأمريكان» صدارة ارتياد الفضاء ،وحازوا قصب السبق في كثير من مجالات الحياة، وكأنهم بذلك قد وعوا قول «الشاعر العربي» في سالف الدهر وغابر الأيام لنا الصدر دون العالمين أو القبر»، أو لعله كأن يعبر عنهم ،غير أن مما لاشك في أنهم قد قرأوا التاريخ واستوعبوا أحداثه كما هو مال أي أمة تريد النهوض من كبوتها والإفاقة من غفلتها في حين كان اختيار غيرهم وفي مقدمتهم أحفاد هذا «الشاعر» أشياء أخرى غير الصدارة، حتى لم يعد لهم اليوم بين الأمم لا «منبر لا للسيف ولا للقلم، وهي حتمية من لم يقرأ التاريخ ،وإذا قرأه لايستوعب أحداثه !!.

د. عبدالرحمن محمد الشامي

ولما كان التعليم هو مشكل العقول التي تصنع مجد الأمم وتقدمها فيجمع الدارسون لتطورات المجتمعات ونهضتها على كونه بمستوياته المتعددة ومراحله المختلفة حجر الزاوية في تحقيق هذا النهوض؛ حتى ليعتبرونه بوابة العبور الأولى والأوحد لأي تغييرات مجتمعية حقيقية ،وبدون المرور عبرها فلن تكون الرحلة موفقة، ولا الاختيارات صائبة، بل ستذهب الجهود سدى فيما لا فائدة منه.

وكحال كثير من البلدان العربية – وبلادنا واحدة منها – يعيش التعليم منذ سنوات حالة تدهور متفاقمة بمرور الزمن ،يزيد من سوئها تلك الزيادة المطردة المخيفة في النسل، التي تأتي على كل عمل تخطيطي ومحاولة دؤوبة للاصلاح ،حتى ليبدو النمو بطيئا في كل مسارات الحياة إلا على هذا المسار، وكأن «البركة» قد انتزعت من كل شيء إلا من «التكاثر البشرى» الذي غدا يسرى في مجتمعنا كالهشيم، ويأتي على كل محاولة للنهوض بالأمة، وإصلاح لحالها، أما الحديث عن إمكانية التوظيف الإيجابي للزيادة السكانية في هذه المرحلة فهو نوع من الشطط، وضرب من الحيال في ظل الظروف الراهنة المعقدة ،والأوضاع الحالية المضطربة.

وعلى الرغم من الجهود الكثيفة: الفردية والجماعية، الرسمية وغير الرسمية التي تبذل فيما يتعلق بالتعليم ومحاولة الإصلاح المستمرة، وفي مقدمة ذلك التوسع الإيجابي في بسط التعليم إلى كافة عموم البلاد، إلا أن من الواضح أن تلك الجهود؛ وبخاصة منها ما يتعلق بالتحسين الكيفي والنوعي له غير كافية كما أن مخرجاتها لا تلبي طموح الأمة في إحداث نقلة تحديثية تصلح من شأنها ،وتدخلها القرن الواحد والعشرين، ومن ثم يغدو الاحتياج ملح اليوم أكثر من أي وقت مضى على ضرورة وجود «خطة قومية» متكاملة يمتد العمل بها على مدى فترة لن تكون قصيرة، وترصد لها من الإمكانيات المادية التي يتوجب الاسهام فيها من جهات متعددة بما يوفر لها النجاح ،ويشترك فيها كل عناصر الأمة وقطاعاتها المختلفة، وفي مقدمتهم «عقولها» في الداخل والخارج ،من تلك الكفاءات التي لم تستغل طاقاتها بعد، ولا حتى جزء منها حتى حينه !.

إن عملية كهذه لهي أصعب كثيرا من أن تقوم بها «وزارة» بعينها، أو يعقد من أجلها «مؤتمرات»، من ذلك النوع الذي تسود فيه التراشقات الكلامية ،وتلقى فيها الخطب، وتنتهي غالبا بـ«توصيات» لاتتجاوز جدران الصالات الفارهة للمجتمعين، ولا تقدم في ميزان الإصلاح التعليمي شيئا يذكر .. إنها تحتاج إلى عمل مضن وجهد ممتد، فلم لايكون للتعليم – إلى جانب كل ذلك مثلا – «لجنة» عليا رئيسة مستقلة يمكن ان يتفرع عنها لجان فرعية ،تضم خبرات علمية وأكاديمية وتربوية متميزة ،وتمارس كافة الصلاحيات اللازمة لها ،وتكون تابعة مباشرة لأعلى جهاز إداري في الدولة – رئاسة الجمهورية –، وبإشراف أعلى رمز فيها فخامة الأخ الرئيس/ علي عبدالله صالح» على اعتبار ان قضية التعليم هي قضية أمن قومية في المقام الأول ،ولا تقل خطورة عن أي قضية أخرى بل لعلها أهم القضايا القومية كلها، فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم ،ولا نجد شخصا أقدر على حمل هذه المهمة الجسيمة وتنفيذها غير شخص بمكانة فخامة الأخ/ «الرئيس».

لتكن «اليمن» في عهدكم يا فخامة «الرئيس» سباقة بين الأوطان العربية كما كانت يوم حققتم وحدتها حينما انفرط عقد «الأمة العربية» في تسعينيات «القرن الماضي»، وجاءت «الوحدة اليمنية» بمثابة شمعة مضيئة في ذلك النفق المظلم ،مطلقة شرارة الإصلاح العربي الحقيقي التي لم تجد من يتلقفها حتى حينه، في العمل على تكوين كيان تكاملي للأمة العربية في عصر تتشكل فيه كثير من الكيانات السياسية !.

إن مما سيذكره لكم التاريخ يا «فخامة الرئيس» أنكم قد حققتم للبلاد الوحدة بعد طول تشطير ومعاناة انقسام ،وقلتم «نعم» حين قال الكل «لا»، فما أشبهكم يومها بـ«أبي بكر الصديق» – رضى الله عنه – في «حرب الردة» حين قال «لا» بعد قول الكل «نعم» ،فحمى بتلك الـ«لا» عرى الإسلام الخمس، وسجل لكم التاريخ قراءة سباقة للأحداث أثبتت الأيام صدق استشرافها ،ثم وطدتم عرى هذه «الوحدة» بالقضاء على فتنة «الانفصال» التي حاولت النيل منها في عام «١٩٩٤» وإعادة عجلة التاريخ إلى الوراء، ولم تفلح بنصر الله لكم والتفاف الأمة من حولكم ،كما أطفأتم نار الفتنة في مهدها في «جبال مران» الوعرة في عام ١٩٩٤م التي حاولت ان تعدد وحدة الأمة، فإذا كنتم يا «فخامة الرئيس» قد خضتم كل تلك المعارك وغيرها بقوة إرادة وصلابة موقف لايلين حتى تحقق للبلاد في عهدكم قسط وافر من الأمن والسكينة، تخوضون في ظلاله اليوم معركة البناء الوطني فلا يزال أمامكم أهم معركة تتصدر عملية بناء الدولة اليمنية الحديثة ،ولا تقل عن تلك المعارك السابقة مجتمعة ،بل علها هي الأصعب ،لا تمثل فوهات المدافع ولا الدبابات أدواتها، وإنما وقودها عقول تزخر بها الأمة اليمنية ،وتنتظر من يوقد شرارتها الأولى لإطلاق نورها في كل ربوع الوطن ،واذا كان لكل معركة ضحايا فإن ضحايا هذه المعركة هم أولئك المتاجرون بالتعليم على مدى سنوات، العابثون بمستقبل اجيال هذا الوطن.

ليكن «عام التعليم» مجرد رمز لبداية خوض معركة الاصلاح في هذا المجال، الذي يحتاج اليوم إلى جهدكم ووقتكم الثمين المتخم بمهموم الوطن أكثر من أي شيء آخر تتحرك معه قوافل الأمة من كل ربوع اليمن، كما تحركت في عام الثقافة المنصرم، إن عاما كهذا من شأنه أن يوقف أولا التدهور المتلاحق في مجال التعليم حين يشعر الكل أن عملا جادا يجري، ثم يهيئ المناخ ثانيا للبداية في عملية الإصلاح الممتدة لسنوات ،نظرا لتعقد القضية التعليمية وتداخل العوامل المؤثرة فيها على مدى سنوات خلت، وإذا كنا خصصنا عاما للسياحة والوثائق بعد عام الثقافة فلم لا يكون هناك عام للتعليم ؟ فمتى يأتي هذا العام ؟.

alshami@bu.edu

العرب وبؤر التوتر

محمد الزبيدي

● عقد مؤتمر لندن الذي شارك فيه خمس وعشرون دولة ومنظمة وقاطعته إسرائيل، ولهذا فقد ركز كلماته ومحاوراته ومداولاته على السلطة الفلسطينية في ثلاثة جوانب هي: الجانب الاقتصادي والجانب الأمني والجانب السياسي، ومع أن البيان الذي أسفر عنه المؤتمر قد تألف من عشرين صفحة، لكنه يظل حبراً على ورق مالم يظهر المجتمع الدولي عزماً أكيداً على ترجمة كل مايقوله عملياً، أما حجم المؤتمر فإن من المعتقد أن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد مثلت الحجم الأعظم وحتى في قضية جدار الفصل العنصري والذي أثبتت محكمة العدل الدولية عدم شرعيته وأصدرت الجمعية العامة قرارها، ولكن الجدار ظل قائماً والبناء ظل متواصلاً والقرارات ظلت حبراً على ورق، وإذا كان موضوع إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة والقابلة للحياة قد ملأ أدبيات المؤتمر وكلماته وخطاباته فإن السؤال الذي يلح على كل مفكر هو: متى؟

– لقد قيل من قبل إن موعد إقامة هذه الدولة هو عام ٢٠٠٥م، وهانحن نطوي الربع الأول من العام، وما زلنا في المربع الأول، وغالب الظن أن الحكومة العبرية لاتسعى إلا لوقف الانتفاضة بدليل أنها افتعلت حادث تل أبيب لتغالط بذلك فيما عليها من استحقاقات تلزمها به خريطة الطريق.

ومن الملاحظ أنه لو قرحت طماشة لجعلت منها الحكومة العبرية ذريعة تلغي بها كل قرار تتخذه وكل خطوة تخطوها مع السلطة الفلسطينية الجديدة وهو مايعني أن السلام آخر مايخطر على بال الحكومة العبرية!

لقد قيل إن شارون أراد أن يعطي نوعاً من الثقة ويؤكد حسن النوايا بإطلاق مجموعة من الأسرى الفلسطينيين ويأذن بعودة المبعدين من كنيسة المهد إلى غزة وإلى الخارج، ولكن مالبث أن وقع انفجار تل أبيب حتى أعلن شارون تراجعه عن كل شيء، ومع أنهم قالوا: إن الجهاد الإسلامي هو الذي أعلن مسؤوليته عن العملية، في حين أن وسائل الإعلام قد تناقلت عشية انعقاد مؤتمر لندن خبراً عن انفجار حدث في القدس.

وقالت الشرطة الصهيونية إن الانفجار كان انفجاراً انتقامياً: يعني أنه قام به بعض المتطرفين الصهاينة، وهو مايعني أن انفجار تل أبيب قد يكون من هذا القبيل، لأن اليمين الصهيوني هو المستفيد من إفشال أي تقارب يؤدي إلى تنفيذ خارطة الطريق.

وعلى كل فقد انعقد مؤتمر لندن، والتزمت الدول والمنظمات المشاركة في المؤتمر بدعم السلطة الفلسطينية اقتصادياً وأمنياً وسياسياً .. والأخيرة هي مايطلب تكثيف الدعم فيها والضغط على الحكومة العبرية لإيقاف الاستيطان والانسحاب من المدن والبلدات الفلسطينية.

أيها المعلمون اقتدوا برسول الهدى

محمد احمد سنان

■ ..تعتبر مهنة التعليم من المهن المتميزة ولهذا تحرص المؤسسات التربوية المشرفة على التعليم ان تبذل جهوداً كبيرة ومستمرة الغرض منها تطوير العملية التربوية والبحث عن الكفاءة النوعية لمخرجات النظام التعليمي والتربوي لتلبية احتياجات التنمية الشاملة ومن أهم اركان هذه العملية المعلم وإعداده بشكل جيد ولان كل العظماء في الأمم والشعوب يتخرجون على أيدي معلمين مقتدرين في المدارس والجامعات وفي البلدان المتقدمة فإنهم يفرزون المبدعين والمتميزين ويدفعون بهم إلى التعليم العام والجامعي وهذا يزيد من مكانتهم وهم يؤدون أعمالهم باخلاص وأمانة وقد امتهن الرسل والأنبياء هذه المهنة فقد كان محمد مربيا ومعلما لخير امة على وجه الأرض والإنسان يمر بمراحل تربوية متعددة فمن تربية الأسرة في المنزل إلى تربية المعلم في المدرسة الذي يزوده بالعلوم المعرفية المختلفة وتتنوع التربية كالتربية الاقتصادية والصحية والزراعية وغيرها الكثير خاصة في عصرنا الحاضر الذي كثرت فيه الوسائط التعليمية المشاهدة والمسموعة والمقروءة وكل هذه يكتسب منها الفرد بعض تربيته ومع كل هذا فإن المعلم يظل مهم جدا في العملية وعلى أولياء الأمور أن يشعروا أبنائهم بعظمة رسالة المعلم لأنها شاقة وشامخة في نفس الوقت وهادفة في غايتها وهي امتداد لرسالة الإصلاح التي خص بها الله تعالى رسله وأنبياءه وبناء العقول ليست بالسهولة التي يتصورها البعض خاصة من يمتلكون المال حيث يستهينون بكل شيء لقد كان المعلم ومازال وسيظل هو الأهم في العملية مهما تعددت الوسائط والوسائل المساعدة على التعلم وتنوعت مصادر المعرفة المتنوعة والمتميزة بالتقنية المتطورة كل هذا لن تكون بديلة عن المعلم والرسالة التي يحملها هي اولى الرسالات التي نوقشت في عليين كما قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني اعلم ما لا تعلمون وعلم ادم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال آتوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) وتحمل لنا كتب التراث الكثير من الوصايا التي تمجد المعلمين ونبل رسالتهم ومنها حكمة سيدنا علي كرم الله وجهه (من نصب نفسه للناس اماما فعليه أن يبدأ بنفسه قبل تعليم غيره وليكن تأدبه بسيرته قبل تأدبه بلسانه إن من يؤدب نفسه ويعلمها لهو أحق بالإجلال والاحترام من مؤدب الناس ومعلمهم) نعم هذا دستورنا وتراثنا ولكننا لانقيم له وزنا فعلى المعلم في المدرسة والدكتور في الجامعة التعامل مع طلابهم بصدق وكما يقال من لانت كلمته وجبت محبته وحتى العظماء والرسل فإن ربنا يلهمهم طيب الكلم ورقة القلب لتبليغ الرسالة وبلوغ الأهداف فقد قال الله عن الرسول (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) هذا من يحمل أعظم رسالة للبشرية لقد كان نهرا متدفقا من الخلق النبيل الكريم والتعامل الذي لايوجد أرقى منه نعم فليكن قدوة المعلمين رسولهم الكريم وبهذا سيكون الجيل الذي سيتخرج على أيادي معلمين بهذه المواصفات قويا وصادقا ومخلصا وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

العالم .. والتسونامي الأمريكي القادم

محمد محمود عثمان

□ .. هل يتعرض العالم إلى اعصار امريكي يفوق في قوته اعصار تسونامي الذي ضرب الدول المطلة على المحيط الهندي مؤخرا؟! وهل تمثل زيارات الرئيس بوش لأوروبا القديمة بداية السكون الذي يسبق العاصفة؟ هل تطرح واشنطن سياسات جديدة للمهادنة أم المناورة، أم انها محاولات لجس نبض دول العالم الكبرى للوقوف على ما تكنه تجاه امريكا خاصة بعد ان تحدت امريكا الشرعية الدولية ولم تبال بالاصوات الاوروبية التي رفضت مساندة امريكا أو مشاركتها في غزو العراق؟

لا شك ان كل هذه التساؤلات مطروحة ويمكن ان تمثل رؤية امريكا للعالم ورغبتها في تثبيت اركان امبراطورية جديدة تسود العالم وهذا التوجه الامريكي لا يخفى على قيادات الدول الاوروبية الكبرى التي تعلم الهوة الواسعة التي تفصل بين الطموحات الاوروبية والرغبات الامريكية التي ترى في الاتحاد الاوروبي خطرا عليها وتسعى إلى كسبه إلى جانبها تحسبا للدور الذي يمكن ان يلعبه الاخطبوط الصيني القادم إلى العالم الجديد بقوة قد تهدد الاقتصاد الاوروبي بل والامريكي ايضا على المدى الطويل، وهذه هي الاشكالية الحقيقية التي تؤرق السياسة الامريكية خلال الحقبة القادمة اكثر مما تؤرقها تداعيات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

لأن الاستراتيجية الامريكية لا تسمح بوجود قوة اقليمية منافئة أو منافسة تهدد مصالحها، ولعل الأهداف الخفية لرحلة الرئيس بوش في ربوع اوروبا غير خافية على أحد وان كانت غير معلنة، لكن القراءة المتأنية في أوراق السياسة الامريكية توضح الرغبة الامريكية في تحجيم الادوار الرئيسية التي يمكن ان تمارسها دول مثل روسيا وألمانيا وفرنسا تحديدا بعد ان نجحت امريكا من قبل في تفكيك الاتحاد السوفييتي وتقليص دوره على الساحة الاقليمية والعالمية وفي سبيل ذلك تستخدم امريكا سياسة العصا والجزرة حتى مع الدول الكبرى، فبعد ان حرمت دول الاتحاد الاوروبي من المشاركة في إعادة إعمار العراق واستئثار الشركات الامريكية تقريبا بكل المشروعات والعمليات الضخمة في هذا المجال عقابا لعدم تقديم فروض الولاء والطاعة ومعارضة الغزو الامريكي توجه الرئيس بوش إلى عقر دارهم ليطلب ودهم ويضمن سكوتهم أو على الاقل يتعرف عن قرب على نواياهم وخططهم تجاه امريكا خلال سنوات حكمه المتبقية، فهو أولا يريد من الناحية الشكلية تحسين وجه امريكا من خلال دعاوى الاصلاح والديمقراطية وحقوق الانسان وهي اساليب ليست جديدة في السياسة الامريكية ومقاومة الارهاب، وكلها حقائق يراد بها باطل، كما يريد ايضا تأكيد الهيمنة الامريكية بأسلوب هادئ وودي اذا امكن أو اذا تمكن من ذلك من خلال اتباع سياسة المصالح والمنطق المتبع في ذلك باعتبار انه لا توجد عداوات دائمة أو صداقات دائمة في السياسة.. وتبعا لهذا المنهج فإنه قد تتلاقى بعض المصالح بما يولد صداقات جديدة بين امريكا وبعض دول اوروبا على حساب الدول الصغرى والنامية والتي معظمها يقع على خريطة العالم العربي والاسلامي، مما ينبئ بوجود اعصار امريكي قادم قد يفوق في تأثيره اعصار تسونامي وسوف يداهم منطقة الشرق الاوسط، فبغض النظر عن اطروحات الرئيس بوش العلنية حول رغبة امريكا في وجود اوروبا القوية كشريك في المهمة الشاقة من وجهة النظر الامريكية لنشر الحرية وتحقيق الديمقراطية والمحافظة على حق الانسان في الحياة الكريمة، تلك الشعارات التي سوف تغطي امريكا من خلالها الكثير من الأحداث والتدخلات في المنطقة خاصة ان الادارة الامريكية في الولاية الثانية لا تخجل أو تتوارى عندما تتحدث عن متطلبات الأمن القومي الامريكي والملفات المؤجلة من فترة الرئاسة الأولى التي توليها كونداليزا رايس أولوية خاصة في هذه المرحلة لا سيما ان هناك ملفات لم يتم حسمها بعد وتؤرق كلاً من اوروبا وامريكا والتي شهد العالم فصلا منها عندما أعلن وزير الدفاع الامريكي دونالد رامسفيلد ان فرنسا والمانيا تمثلان اوروبا القديمة وهذا يعني ان امريكا لها وجهة نظر اخرى حول اوروبا الجديدة وفق الرؤية الامريكية التي تسعى بلا شك إلى التأثير على الاتحاد الاوروبي او تهميش دوره على الأقل حتى لا يمثل عائقا أمام الاستراتيجية الامريكية لا سيما مع نمو الاتحاد الاوروبي وتوسع قاعدة الدول المنضمة اليه وما يمثله ذلك من سوق واسعة يمثل منحنى الطلب الاستهلاكي فيها صعودا مستمرا وخاصة مع وجود الفجوة التقنية بل والايديولوجية والثقافية لدى غالبية المستهلكين من الدول المنضمة حديثا للاتحاد الاوروبي والتي تمثل للاقتصاد الاوروبي نقلة نوعية في التكامل الاقتصادي، خاصة اذا كانت هناك عقبات أمام الصادرات الاوروبية للسوق الامريكية.

ومن ثم فإن اوروبا الموحدة والمستقلة كما يريدها ابناؤها لا تحبذ الانصياع التام للمصالح الامريكية الا بالقدر الذي يحقق بعض مصالحها او يحافظ على البعض الآخر من تلك المصالح على الأقل كما يحدث الآن من خلال التقارب الامريكي ـ الفرنسي والمباركة الاسرائيلية تجاه الموقف من سوريا ولبنان، أو من خلال التقارب الامريكي ـ الروسي تجاه شركات النفط العاملة في العراق والامتيازات التي يمكن اقتسامها بين الجانبين.

ولا شك ان امريكا وان اظهرت وجهاً باسماً للدول الاوروبية خلال زيارة الرئيس بوش لها الا انه في كل الاحوال يجب ان لا ننسى الحكمة التي تقول :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم

خاصة وان امريكا الآن تتربع على عرش النفط العراقي وتمد يدها يمينا ويسارا إلى نفط قزوين وهذا يعطيها قوة في تعاملها مع الدول المستوردة للنفط وخاصة عند اشتداد ازمة الطاقة وارتفاع اسعار النفط في الاسواق العالمية.